اسم المصدر: الرياض

التاريـــخ: 13-02-2009 رقم العـدد: 14844 رقم الصفحة: 19 مسلسـل: 170 رقم القصاصة: 1

خارطة طريق نحو مجتمع المعرفة

د. حمد بن عبدالله اللحيدان

إن جميع الشواهد والظواهر تشير إلى أن مجتمع المعلومات سوف يتحول إلى مجتمع يتصف بالشمولية المعرفية التي تتناول الأبعاد العلمية والإنسانية للمعرفة بما في ذلك تطبيقاتها واستيعابها وبعد ذلك إنتاجها والاستفادة منها ونشرها

من المعروف أن المجتمعات البشرية مرت بعدة مراحل كل واحدة منها تتطور بفعل الحراك الإنساني حتى تفضي إلى التي تليها. ولا شك أن كل مرحلة أخذت صفتها من المقومات التي تميزت بها وسادت خلالها فبعد الحياة البدائية تطور المجتمع البشري إلى ما يسمى بالمجتمع الزراعي الذي يمثل المرحلة المبكرة للتجمع البشري بشكل منظم والذي كان قوامه الأساسي الأرض والعمل المرتبط بها.

بعد دهور من التحولات بدأ يظهر مجتمع مرتبط بالثروة والصناعة بصورة تدريجية وبعد تبلوره اطلق عليه المجتمع الصناعي وأصبح من أهم مقوماته رأس المال واستمر الحراك والتطور في بنية ومخرجات ذلك المجتمع حتى أفضى إلى ما يوصف به المجتمع المعاصر بأنه مجتمع المعلومات وذلك نتيجة للثورة المعلوماتية الحديثة والتي قلبت الموازين من حيث سرعة الحراك والتحول المتسارع الانتشار والتطوير. ولا شك أن المجتمع المعلوماتي يقوم على مقومات عديدة يأتي في مقدمتها تقنية المعلومات وما يترتب عليها من تطور وتحديث يشمل أمورا وفعاليات مختلفة مما أوجب البحث والاستقصاء لما سوف يؤول إليه ذلك المجتمع الحديث في المستقبل القريب والذي بدأت مقاربته ومعالمه تظهر في عمليات التخطيط والاستراتيجيات للدول المختلفة بما في ذلك الدول المتقدمة.

إن جميع الشواهد والظواهر تشير إلى أن مجتمع المعلومات سوف يتحول إلى مجتمع يتصف بالشمولية المعرفية التي تتناول الأبعاد العلمية والإنسانية للمعرفة بما في ذلك تطبيقاتها واستيعابها وبعد ذلك إنتاجها والاستفادة منها ونشرها وبذلك يصبح المجتمع ملما بالمعرفة من جميع الجوانب. وهذا ما يطلق عليه مجتمع المعرفة والذي سوف يصبح ذروة ما وصلت إليه المجتمعات البشرية من تطور حتى الآن.. وليس ببعيد أن يفضي مجتمع المعرفة بعد اكتمال مقوماته إلى نوع جديد من المجتمعات من المبكر أن نطلق عليه صفة معينة منذ الآن.

إن مجتمع المعرفة سوف يكون له أثر واضح على سلوك الفرد والجماعة وكذلك على السياسات العلمية والتعليمية والبحثية والاستراتيجيات الاجتماعية والاقتصادية وغيرها من الفعاليات التي تسيّر الحياة المعاصرة من إدارة ونشاط وإنتاج وتواصل واتصال.

إن ثورة المعلومات أصبحت من أهم معالم اقتصاد المعرفة الذي تسعى الدول المختلفة التي تنشد التقدم والرقي من أجل الإمساك بزمام المبادرة الفاعلة التي تضمن الوصول إليه والاستفادة منه.

إن المفتاح الأساسي لأي تحول إيجابي يعتمد على تطوير وإصلاح التعليم بفروعه المختلفة العام والفني والعالي وضبط وتيرة ارتباطهما بالحراك والتطور العالمي من خلال المتابعة والاعتراف بالنواقص ومواضع الخلل والمعوقات ومواجهتها والعمل على حلها ناهيك عن تطوير أدوات التعليم والتعلم من خلال التحديث والتدريب والحوافز والفرز والتجديد وقبل ذلك وبعده الضبط والربط الذي لا يتراخى مع مرور الزمن.

إن التعليم الذي ينشده مجتمع المعرفة أكبر وأشمل من إعداد الفرد لممارسة مهنة معينة كما أنه عمل غير مجد إذا حاول أعداء أناس لممارسة أعمال غير مجدية لذلك فإن أساليب التعليم القائمة حاليا والتي تعتمد على التلقين والحفظ والتكرار لمعلومات تتقادم مع مرور الزمن وبالتالي تصبح غير مواكبة للتطورات العلمية والثقافية والإبداعية، تحتاج إلى إعادة نظر بصورة جذرية من حيث المحتوى والأسلوب مصحوبا ذلك بإعادة تدريب وتأهيل القائمين على تلك المجالات على اختلاف مراحلها ناهيك من أخذ التجارب العالمية بعين الاعتبار بما لا يتعاض مع الثوابت.

إن التعليم الجيد والبحث العلمي المتطور هما القوة الدافعة والمحركة للإبداع الاجتماعي والاقتصادي وبالتالي يعتبر الاستثمار في تعليم الفرد والمجتمع استثمار في رأس المال البشري الذي هو الثروة الحقيقية خصوصا عندما يشكل في مجموعة ما يسمى بمجتمع المعرفة الذي ننشده ونخطط الخطى من أجل التحول إليه.

إن أهم عوامل التخلف في العالم العربي عدم مواكبة التعليم لمتطلبات العصر وبالتالي يخرج أناس ليسوا جهالا وليسوا متعلمين وبالتالي تأتي نتيجة أعمالهم صورة لأدائهم وقدراتهم مما يعني الدوران في حلقة مفرغة أهم معالمها عدم الأخذ بالأولويات وتبعثر الجهود وعدم التكامل ناهيك عن عدم القدرة على الحوار وعدم القدرة على فقد الذات بل التعالي لسد النقص الحاصل. ناهيك عن الانتقاص من منجزات الغير أو طمسها والبدء من جديد.. ولا شك أن غياب الأسلوب المؤسسي في الإدارة هو السبب في التقوقع والانغلاق والتمسك بالبيروقراطية المزمنة وتحييد الأكفاء وسيطرة النزعة الفردية في الإدارة.

نعم إن عدم وجود برتكول مؤسسي للإدارة والتطوير والمتابعة والرقابة الخارجية والذاتية تجعل الأمور متفاوتة ومتقلبة بحيث أن ما يبنيه أحد المسؤولين يهدمه من يخلفه.

ولا شك أن مثل هذه الممارسات تشكل عائقا حقيقيا أمام عمليتي الإصلاح والتطوير

اسم المصدر: الرياض

التاريـــخ: 13-02-2009 رقم العـدد: 14844 رقم الصفحة: 19 مسلسـل: 170 رقم القصاصة: 2

وبالتالي يظل الأمر يراوح مكانه لأن وجهات النظر الفردية تظل متباينة فمنهم المحافظ ومنهم المتشدد ومنهم المتساهل ومنهم المتسيب ومنهم المستعجل ومنهم المتريث والضحية في كل الأحوال المصلحة العامة حيث تتلاطمها الأمزجة والآراء غير الناضجة وبالتالي لا بد من اللجوء إلى العمل المؤسسي الذي تحكمه خطط واستراتيجيات مركزية تقيم وتطور حسب جداول زمنية محددة.

إن مجتمع المعرفة يحتاج إلى ترسيخ مفاهيم العمل المؤسسي الذي من أهم بنوده أن اكتساب المعرفة أحد الحقوق الإنسانية الأساسية لأن ذلك هو السبيل إلى التنمية الإنسانية في جميع المجالات وهذا ما يؤدي إلى إنشاء البنية الأساسية لرأس المال المعرفي مثل تكنولوجيا المعلومات والاتصال ومؤسسات دعم البحث العلمي والتطويري وكذلك المؤسسات المهنية وكل ما يؤدي إلى خلق مجتمع إنساني راق. فالمعرفة كما نشاهد ونسمع ونرى ونستخدم مخرجاتها تمثل السبيل الأمثل لبلوغ متطلبات الرفاه الإنساني. إن التقدم التكنولوجي الذي تحظى به الدول المتقدمة أصبح كثيف المعرفة وذلك نتيجة الانفجار المعرفي الذي أصبح أهم معالم ومميزات المؤسسات المختلفة لتلك الدول. إن عمليات التحفيز والكسب والتنافس وإحراز قصب السبق جعلت المعرفة تتضاعف بأشكال متوالية هندسية مما خلق فجوة كبرى بين الشمال والجنوب ولا زالت هذه الفجوة تزداد اتساعا كل مغيب شمس.

إن التحول إلى مجتمع المعرفة يحتاج إلى الاستثمار في المال والعقل والزمان بصورة مكثفة وعنيدة. والتحول إلى مجتمع المعرفة أصبح مطلبا وطنيا ذلك أن القيمة المضافة للإنتاج المعرفي أكبر بكثير من تلك التي ترافق الإنتاج التقليدي والسبب أن القيمة المضافة للإنتاج المعرفي تتناسب طردا مع حجم المعرفة المستخدمة فالقيمة المضافة لصناعة الفضاء تقدر بحوالي (٣٠٠٠) مرة وتلك التي للسوبر كمبيوتر تقدر بحوالي (٢٠٠٠) مرة. وهكذا.

نعم إن المجتمعات في الدول المتقدمة تتحول إلى مجتمعات معرفية بصورة سلسة وتلقائية وذلك نتيجة للبنية التحتية المتقدمة ونتيجة التطور والتحول التدريجي منذ عهد الثورة الصناعية إلى عهد التقنية المتقدمة وثورة المعلومات.

ومع ذلك فإن المعلومات والتقنيات ومعارفها وأساليب اكتسابها ليست شفرات وراثية تحظى به أمم دون أخرى فالمواعيد في جميع أنحاء العالم يولدون على الفطرة وطبقا للتنشئة والتعليم والتربية يكونون. وهذا يخفف العبء ويجعل قصب السبق وقصب اللحاق بالأمم المتقدمة مجرد إرادة وهدف وتصميم على تحقيق الوصول إليه وخلق الظروف والوسائل المساندة لتحقيق ذلك المبتغى.

إن القفز من فوق الحواجز والبدء من حيث انتهى الآخرون هو السبيل الأمثل للحاق بالركب العالمي المنطلق بسرعة فائقة. إن تحقيق الريادة العالمية ليس بصعب إذا صح العزم وخلصت النية. ولا شك أن هذا ما تسعى إلى تحقيقه حكومتنا الرشيدة بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز وولي عهده الأمين الأمير سلطان بن عبدالعزيز - حفظهما الله -.

إن محفزات التحول إلى مجتمع المعرفة أصبحت متوافرة ولعل من أهمها الإنترنت والسياحة والانفتاح على الثقافات العالمية وتبادل المصالح والمنافع والفضائيات ووسائل الاتصال ولعل البعثات الخارجية من أهم النوافذ التي تساعد على كسب المعرفة مقرونة بالتصرف على ثقافة الغير ومعايير الحياة هناك. ولعل خير دليل على ذلك تجربة كل من اليابان والهند والصين وسنغافورة وماليزيا وكوريا حيث أثبتت تلك التجارب أن الانفتاح على الآخر من أهم وسائل كسب المعرفة وإجادتها.

نعم ظل التطوير والإصلاح يواجه بالرفض والاستنكار والمقاومة والتحدي من قبل المتضررين كما أن التجديد وخلق مؤسسات ومنظومات جديدة يواجه بالتشكيك لذلك فإنه يلزم كل من ينشد التطوير والإصلاح وكذلك التجديد والإبداع أن يتحلى بالجرأة والمبادرة وقوة الإرادة والإحساس بالتوقيت المناسب والالتزام بالهدف وخلق حلفاء يعاضدونه كما يجب أن لا يضيع وقته في مواجهات ومعارك جانبية غير مجدية.

إن إطلاق العنان للخيال والإبداع يحتاج إلى أدوات تساعد على تحقيق الفوائد المرجوة منه ولعل من أهم تلك الأدوات خلق أهداف ومتطلبات جديدة لكل مؤسسة علمية قائمة فعلى سبيل المثال كانت الجامعات تؤسس لتعليم الطلاب ثم أضيف إليها وظيفة أخرى هي البحث ثم استبعاد الطلاب من بعض الجامعات بحيث أصبحت جامعات بحثية فقط وكانت النتيجة خلق نوع من المؤسسات أطلق عليه اسم خزان التفكير Think Tank.

نعم نحن في أمس الحاجة إلى خزانات تفكير تولد أفكار وآراء جديدة وتبدع حلولا مجدية للكثير من المشاكل التي نواجهها مثل ندرة المياه والتصحر والجفاف وارتفاع حرارة الجو ومواجهة الزيادة في عدد السكان والتخطيط العمراني والاستغناء من العمالة الأجنبية غير المدربة ومواجهة البطالة وفي نفس الوقت دراسة تحفيز وتطوير مخرجات التعليم وخلق توافق بينها وبين متطلبات سوق العمل. إن خزانات التفكير بوابات أساسية يمكن للمجتمع أن يلج من خلالها إلى آفاق المعرفة ويضمن تحوله إلى مجتمع المعرفة بسلاسة ونجاح عبر خارطة طريق واضحة المعالم.

والله المستعان.